١٢- باب من الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى

وقول الله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً} {سورة الجن آية: ٦} .

وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من نزل منْزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منْزله ذلك" رواه مسلم.([١])

فيه مسائل:

الأولي: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة. قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك.

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى

يذكر الشيخ هنا بعض أفراد الشرك ليدلل على أنَّ أضدادها من التوحيد ، فالاستعاذة بغير الله شرك ، فيدل على أن من التوحيد الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى وحده ، وأيضًا : النذر لغير الله شرك ، فمن التوحيد النذر لله سبحانه وتعالى وحده .

ويمشي المؤلف على هذا الترتيب فيما سيأتي من أمور الاستغاثة والدعاء ونحو ذلك .

قولـه :(من الشرك) [من] هنا تبعيضية ، و هل الشرك هنا أكبر أم أصغر ؟ وسيأتي الجواب على ذلك .

قولـه :(الاستعاذة) : والاستعاذة معناها طلب الالتجاء والاعتصام ، والعِوَذ من الشرِّ أو مما يخاف ن أي شيء مَخُوف ، هذه هي الاستعاذة والعياذة والعوذ .

والطلب يكون على ثلاث مراتب :

- إمَّا أن تطلب من قرين لك ، ومساوٍ فهذا يسمى التماساً تلتمس منه : كأن تقول له أعطني القلم .

---

[١] رواه مسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٨) ، والترمذي: الدعوات (٣٤٣٧) ، وابن ماجه: الطب (٣٥٤٧) ، وأحمد (٣٧٧/٦، ٣٧٨/٦، ٤٠٩/٦) ، والدارمي: الاستئذان (٢٦٨٠).

• وإذا كان الطلب ممن هو دونك يسمى أمرًا ، يعني مثلاً أبٌ يطلب من ابنه ،أو مدرس يطلب من تلميذه ، أو مدير يطلب من طالب في المدرسة ونحو ذلك ، هذا يسمى أمرًا .

• أمَّا إذا كان الطلب ممن هو أعلى منك فيُسمى دعاءً ، فطلبك من الله جلَّ وعلا دعاء ، والطلب بصيغة الأمر لكن لا يسمى أمرًا في حق الله جلَّ وعلا ، بل يُسمى مِنكَ دعاءً تدعو الله سبحانه وتعالى كأن تقول رب اغفر لي وارحمني .

وعكس الاستعاذة اللياذة : وهي الفرار لطلب الخير .

إذًا الاستعاذة : خوفٌ من شرٍ وطلب اعتصام من شرٍ وطلب لجوء إلى من يُجيركَ من شره ، واللَّيَاذة : فرارٌ لطلب الخير .

يقول أبو الطيب المتنبي أبياتًا يمدح فيها أحد الأمراء وهذه الأبيات مشهورة في كتب الأدب وكتب التفسير يقول فيها :

يا مَن أَلوذُ بِهِ فيما أَأَمِّلُهُ وَمَن أَعوذُ بِهِ مِمّا أَحاذِرُهُ

فهو يتمنَّى أشياءَ يُريد أن يُحصِّلها فيلوذ بهذا الممدوح ، ومن أعوذ به : العوذ أو العياذة أو الاستعاذة من الشرِّ أو مما يخاف ، ثم يقول أيضًا مغاليا في مدح من يمدحه :

وَمَـــن تَوَهَّمـــتُ أَنَّ جـــوداً وَأَنَّ عَطايـــاهُ
البَحرَ راحَتُـــــــهُ جَـــــــــواهِرُهُ

تَوهم المتنبي أنَّ البحر راحته : أي كأنَّ هذا المِلك كفُّه البحر والبحر كبير ، عطاياه : أي هذا الملك الذي يعطي ، يعطي كأنَّ جواهر البحر هي التي يعطيها لمن يسأله .

ثم يقول في البيت الذي بعد ذلك :

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره *ولا يهيضون* عظمًا أنت جابره

أنت كاسره : أي إذا أردت أن تكسر أحدًا فإنَّه لا يستطيع أحد أن يقف أمامك ، ولا يهيضون : أي لا يكسرون عظمًا أنت جابره .

هذا الكلام من أبي الطيب المتنبي فيه مغالاة وفيه غلو ، فابن كثير يعلق على هذا الكلام في كتابه « البداية والنهاية » ([1])فيقول : بلَغَني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أنَّه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مدح مخلوق ، ويقول : إنَّما يصلح لجناب الله تعالى ، هو الذي ينبغي للإنسان أن يلوذ به فيما يؤمله ويستعيذ به فيما

[1]) (المجلد ١١، ص/٢٧٥) .

يحاذره ، إذًا هذه الأبيات يذكرها أهل اللغة وأهل التفسير في الفرق بين اللياذة وهي طلب الخير والفرار إلى الخير ، والإعاذة والاستعاذة والعوذ وهو طلب الفرار من الشرّ أو مما يُخاف منه ، فهناك فرق بين اللياذة وهي طلب الخير ، والاستعاذة أو العياذة وهي الفرار من الشرّ .

وهنا سؤال : هل الاستعاذة لا تجوز إلا بالله مطلقًا ، وهل يُمكن أن يُستعاذ بغير الله ؟

والجواب : بعض أهل العلم قال : إنَّ الاستعاذة فيها عمل ظاهر وعمل باطن أي :عبادة باطنة قلبية لا يجوز أن تُصرف إلا لله سبحانه وتعالى ، فمن يقول هذا يقول بأنه عندئذٍ لا يجوز أن يُستعاذ إلا بالله وحده سبحانه وتعالى ، والاستعاذة بغيره شرك لا تجوز .

القول الثاني : إذا نظرنا إلى أن الاستعاذة فيها عملٌ ظاهر ، والعمل الظاهر هذا مما يستطيعه المخلوق فلا مانع من أن يستعيذ الإنسان بمخلوق يَقدر على إعاذته ، وقد ورد في الأحاديث ما يدل على ذلك ، فأصحاب هذا القول يُقسِّمُون الاستعاذة إلى ثلاثة أقسام :

استعاذة شرعية ، واستعاذة شركية ، واستعاذة جائزة مباحة .

القسم الأول : الاستعاذة الشرعية : هي التي تكون بالله جلَّ وعلا أو بأسمائه وصفاته كما في قوله تعالى : { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } ،و { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} ،و {قُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ } [المؤمنون :٩٧] ، و{ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } [النحل :٩٨] .

هذه الاستعاذة كلُها بالله سبحانه وتعالى ، أو بأسمائه أو بصفاته كما جاء في الحديث أنه إذا مرض العبد فله أن يضع يديه على ما يتألم منه ويقول : بسم الله ثلاثا أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات .

أعوذ بعزة الله : فهذا استعاذة بصفة من صفات الله سبحانه وتعالى وهي العزة ، وكذلك القدرة : أعوذ بعزة الله وقدرته ، وكذلك جاء في الحديث عند الترمذى : أعوذ بوجهك (١)هذا القسم الأول من أقسام الاستعاذة ، وهي الاستعاذة الشرعية التي تكون بالله أو بأسمائه أو بصفاته .

لكن لابد أيضًا أن ننبّه هنا إلى مسألة دقيقة وهي أنَّه لا يجوز نداء الصفة استقلالاً ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ذكر في كتابه « الرد على البكري » أنَّ نداء الكلمة كُفر ، مثل من يقول : [يا كلمة الله] فـ (كلمة الله) فيها إشكال لأنَّ النصارى يعتقدون أن عيسى هو الكلمة ، فمن نادى بهذا النداء (يا كلمة الله) فيُفهم منْهُ أنَّه ينادي أو يستعيذ بعيسى عليه السلام وهذا كفرٌ لا شك فيه .

---

١) رواه الترمذي برقم (٣٠٦٥) .

أما من نـادى بغير ذلك فقال مثلا : [يـا رحمـة الله] ، هذا فيـه إشكال فبعض أهل العلم يقول : إنَّ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية يُحمل كلُّه في نداء الصفة على هذا أيضًا ، فمن قال : يا رحمة الله ارحميني ، ويعتبر الرحمة شيئًا مستقلاً فيقول : إن هذا أيضًا من الشرك أو الكفر ، لكن بعض أهل العلم يقول : لا ، فشيخ الإسلام أراد بالكفر هنا خاصة في نداء[الكلمة] حيث إنَّ النصارى الذين يُنادُون الكلمة يعتقدون بأنَّ عيسى هو الكلمة .

فقد يقال إن نداء الصفة استقلالاً إمَّا أن يكون من الشرك الأكبر وإمَّا أن يكون من المحرمات ، وقد يَعجب الإنسان ويقول : هل هناك من ينادي هذه الصفة ؟!

نقول : نعم ، رأينا في بعض النداءات التي يقوم بها بعض الفدائيين الفلسطينيين ونحوهم ، وفي الأناشيد يقولون: يا رحمة الله ارحميني ، ونحو ذلك .

فلا يصح للإنسان نداء الصفة استقلالاً لكن يستعيذ بالله وبصفاته سبحانه وتعالى كأن يقول أعوذ بالله وأعوذ بعزتك وأعوذ برضاك من سخطك كما في الحديث ([1])، فالصفات لله جل وعلا هو متصف بها و ليست مستقلة عن الموصوف بها سبحانه و تعالى .

القسم الثاني : الاستعاذة الشركية : وهي أن يستعيذ بالميت ، أو يستعيذ بأصحاب القبور ، أو يستعيذ بالصالحين من الأموات ، أو يستعيذ بغير الحاضر كالجنّ مثلاً ، فيستعيذ بجن ليس ميتاً لكنه غائب ، فشرط الاستعاذة أن يكون من يستعاذ به من المخلوقين حياً حاضرًا قادرًا ، فإذا استعاذ الإنسان بالجنّ فالجن غائب فهذا من الشرك ، أو يستعيذ بالميت والميت لا يقدر على إعاذته ، أو يستعيذ بأصحاب المشاهد والمقامات والقبور ونحو ذلك .

القسم الثالث : الاستعاذة بالمخلوق فيما يَقدر عليه ؛ فهذا جائز على القول الثاني ، و دليل الجواز عدة أحاديث جاء فيها الاستعاذة بالمخلوق : من ذلك ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث الفتن في صحيح مسلم ([2])في ذكر الدجَّال أننا أُمرنا بأن نفر منه وأنَّ من وجد معاذًا أو ملجَأ فليعُذ به ، أي يلجأ إليه .

وقد جاء في صحيح مسلم أيضًا أنه : « يعوذ عائذٌ بالبيت - يعني في آخر الزمان يعوذ إنسان بالبيت - فيُبعث إليه بعثٌ فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بأولهم وبآخرهم » ([3]) .

---

[1]) رواه مسلم برقم ٢٢٢ – (٤٨٦) .

[2]) رواه مسلم برقم (٢٨٨٦) .

[3]) رواه مسلم برقم ٤ – (٢٨٨٢)

فالشاهد فيه : يعوذ عائذٌ بالبيت .

وأيضًا في قصة المخزومية لما سرقت عاذت بأمِّ سلَمة لتشفع لها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لو كانت فاطمة لقطعت يدها . فقطعت » ([1])

وهناك أدلة أخرى ، فهذه الأدلة تُبين أنَّه لا مانع من الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه: المخلوق الحي ، الحاضر ، القادر ، ولا يصح للإنسان أن يستعيذ بالجنِّ الغائب .

فالاستعاذة بالله من العبادات التي أمر الله سبحانه وتعالى بها عِباده ، كما ذكرنا الآيات { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } فهذا أمر { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } ، { وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ } [الأعراف :٢٠٠] فهذا أمر ، فصرف هذه العبادة لغير الله شرك أكبر .

الدليل الأول :

- **وقول الله تعالى : { وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً } [الجن:٦] .**

هذه الآية الكريمة من سورة الجن هي الآية السادسة جاءت بعد آيات ابتدأت بقول الله جلَّ وعلا :**{ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً } [الجن : ١]** ثم ذكرَت الجنُّ بعد ذلك بعض الأشياء التي كانوا يفعلونها في الجاهلية من الكذب على الله سبحانه وتعالى ، ومن استراق السمع ونحو ذلك ، ومن هذه الأشياء التي ذكروها : **{ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً }** وقد ذكر المفسِّرُون ومنهم الإمام مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس رضي الله عنهم : أنَّ الرجل من أهل الجاهلية إذا كان مسافراً و نزل منزلاً في الصحراء وجاءه الليل أوكان بالنهار وخاف على نفسه من هذا المكان المُوحش فإنه يقول : أعوذ بكبير هذا الوادي ، أو أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه .

فيستعيذ بكبير الجن في المكان الذي نزل فيه من أذى الجن ، فاستعاذة الإنسي بالجنِّي يترتب عليها مفاسد عظيمة جدًا : مفاسد للإنسي ومفاسد للجني .

قوله {وَأَنَّهُ} : هذه [الواو] عطف على ما سبق .

قوله **{كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ}** : **{رِجَالٌ}** اسم كان.

قوله **{من الْإِنسِ}** : صفة للرجال .

قوله{يَعُوذُونَ} : هذه الجملة خبر .

---

[1]) رواه مسلم برقم ١١/ (١٦٨٩) .

قوله :(بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ) : دلَّ على أنَّ الجنَّ منهم رجال ونساء كما أنَّ من الإنس رجالاً ونساءً .

{يَعُوذُونَ} : يطلبون الإعاذة ، فالإنس يطلب من الجن أن يُعِيذَه وأن يُجيره وأن يَعْصِمَه مما يخاف؛ فكانت العاقبة :**{ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً}** .

{زادوهم} : [الواو] هنا واو الفاعل ويحتمل أن يكون المقصود بها الجن والمعنى زاد الجنُّ الإنسَ رَهَقاً أي خوفًا وقلقًا واضطرابًا ، فقد استغاثوا بهم واستعاذوا بهم ليؤمِّنوهم فزادوهم اضطرابًا وقلقًا وتعباً ، وهذه في الحقيقة حال الذي يلجأ لغير الله **« ومن تعلق شيئًا وُكل إليه »** ([1])

فإذا تعلقت بالمخلوق وُكلت للمخلوق وإذا وكلك الله جلَّ وعلا إلى نفسك أو إلى المخلوق فقد بؤت بالخسارة والحرمان ، هذا أحد الأقوال أن يكون المقصود بالواو هنا الجن ، وقد يكون المقصود بالفاعل هنا الإنس ؛ فالمعنى عندئذ فزاد الإنسُ الجنَّ رَهَقاً : أي طغيانًا وتكبرًا وتجبرًا وعتوًا فالجنُّ لما رأى الإنس يخاف منه و يلجأ إليه ويعتصم به ويطلب منه طغى وازداد طغيانًا ، وازداد تكبرًا ، وقال : إن الإنس الذين ملؤا الأرض يخافون منا ، فكانوا هم الأسياد فازدادوا بذلك عتوًا وتكبرًا وطغيانًا .

إذًا تفسير الرَهَق هنا على أحد هذين التفسيرين : إما أن يكون المقصود به الخوف والقلق ، والتعب وعدم الطمأنينة ، وإمَّا أن يكون المقصود به العتو والطغيان من الجن .

وعن ابن عباس رضي الله عنه وقتادة رحمه الله **(فَزَادُوهُمْ رَهَقاً)** أي إثماً .

قال تعالى : { وَيَوْمَ يحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ } [الأنعام :١٢٨] يوم يحشرهم أي يوم القيامة جميعًا **{ وَيَوْمَ يحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا }** معنى الاستمتاع هنا : استمتاع الإنسي بالجني بقضاء الحوائج بخدمته ، فالجني يخدم الإنسي ويقضي له حوائجه فهذا استمتاع الإنسي بالجني ، واستمتاع الجني بالإنسي أنَّه يَتكبَّر عليه ويتعالى ويطغى ويظن أنَّ هؤلاء عبيد لهم وأنَّهم مأمورون بأمرهم ، فهذا هو الاستمتاع **{ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ }** .

وقد أخذ العلماء من هذه الآية : **{ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ }** أنَّه لا يجوز للمسلم الذي يُعالج أو يطبب أو يرقي أو يُداوي أن يستعمل الجنَّ في العلاج ؛ لأنَّ بعض الناس يقول : إنني استعمل الجن المسلم في مصلحة

---

[1]) رواه أحمد في المسند برقم (١٨٧٨١) ، والترمذي برقم (٢٠٧٢) .

وفـي معرفـة الشـيء المفقـود مـثلاً أو الشـيء الغائـب أو المسـروق أو فـي معرفة مكان السحر فيقال له : بأنَّ هذا من الاستمتاع المذكور في الآية ، والـذي ختمـت بـه الآيـة قولـه : **{ قَـالَ النَّـارُ مَثْـوَاكُمْ }** أولاً : عنـدما يريـد الاستفادة من الجنِّ ويزعم أنَّه جنٌّ مسلم ،يقال لـه : مـا أدراك بأنـه مسلم ؟! فقد يخدعك عليك فترة من الزمن بالكلام وتظن أنَّ هذا الكلام يدل على أن هذا الجن ثقة وأنَّه مسلم وأنَّه صالح ، وهذا يسمى عند أهل العلم التعديل ، تعديل من أمامك ، لكن كيف تُعدِّل الغائب ؟ لابد أنَّ يكون التعديل لحاضر ، كي تقول : هذا فلان ثقة وفلان هذا حافظ ، أو فلان جيد أو فلان هذا عدل ، لابد أن يكون شخصًا حاضرًا لكن الجن غائب عنك فالتعديل فرع عن المشاهدة ، فمن لا تراه كيف تعدله وتقول : أنْا أتعامل مع جن ، مسلم ، صـالح ، مستقيم ، لا يَكْـذب علـيَّ ، ولا يخـدعني ، فمـا أدراك ؟ ربمـا يكون كلامه خداعا في خداع لكي يوقعك في حبائله ثم بعد ذلك إذا اتكلت عليـه والعيـاذ بـالله أوقعـك فـي الشـرك كمـا حصـل لـبعض النـاس ، يأخـذ الشيطان في استدراجه فيأتي له بما يريد ، يُعلمه بما يريد من الأمور الماضية أو الحاضرة ؛ لكن الجن لا يعرف الغيب المستقبل ، فلا يعرف ما يكون في الغد ولا ما يكون بعد شهر ولا بعد سنة لكن كونه في أماكن أخرى فإنه يرى ما لا ترى ، أي أنت الآن هنا فمن الممكن أن يرى وهو قادم حادثاً في الطريق مثلاً أو يرى إنساناً مثلاً سرق شيئًا من بيتك ومشى أو نحو ذلك من الأشياء الماضية ، فهي بالنسبة له ليست غيبًا من الغيب وإنما هي من الشهادة ، وكذلك الشيء الحاضر لكن القادم من الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، لا يعلمه الجن ولا غيره ، فإذًا الجنُّ قد يخدع الإنسان و يتدرج معه إلى أن يوقعه في حبائله فيقول له : فلان الفلاني موجود في المكان الفلاني مثلاً ، أو سحرك في المكان الفلاني أو نحو ذلك من الأمور التي اطلع عليها من الأشياء التي غابت أو مضت أو من الأشياء الحاضرة والتي لا تراهاأنت ، فالجن يستدرج الإنسان إلى أن يَقع في حبائله ثم بعد ذلك يوقعه في الشرك ويخدمه ويستخدمه أيضًا والعياذ بالله .

الدليل الثاني :

- **وعن خَوْلَةَ بنت حكيم قالت : سمعتُ رسولَ اللهِ صلىَ اللهُ عليه وسلم يقول : « مَنْ نزلَ منزلاً فقالَ : أعوذُ بكلماتِ اللهِ التاماتِ من شرِّ ما خَلَق ، لم يضره شيءٌ حتى يَرْحلَ من منزلِه ذلك» رواه مسلم ([1]).**

---

[1]) رواه مسلم برقم ٥٤ – (٢٧٠٨) .

قوله {عن خَوْلَة} وهي [أم شَريك] خَوْلَة بنت حكيم السلَمية رضي الله عنها ، قيل هي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يردها ، قيل إنها كانت تحت عثمان بن مظعون قبل ذلك على خلاف عند أهل السير الذين كتبوا في الصحابة والصحابيات رضي الله عن الجميع .

ويقال إنّها ليس لها إلا هذا الحديث في صحيح مسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« مَنْ نزلَ منزلاً فقالَ : أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ من شرِّ ما خَلَق ، لم يضره شيءٌ حتى يَرْحلَ من منزِلِه ذلك »**

[من] هذه شرطية .

{نـزل منـزلاً} : نكرة في سياق الشرط فتفيد العموم أي: لو نزل أي منزل ، بعض أهل العلم يقول : لو ركب الطائرة مثلاً أو ركب في القطار ، أو نزل في الصحراء ، أو نزل في خيمته أوفي مزرعته ونحو ذلك فله أن يقول هذا الدعاء : **(أعوذ بكلمات الله التَّامات)** .

معنى التَّامات : التي لا يلحقها نقص ، التَّامة الكاملة التي لا يلحقها نقص .

المقصود ب **(كلمات الله)** : بعض أهل العلم فسرها بكلمات الله الكونية التي يأمر بها كونًا كأمره لملائكته بفعل شيء ما كالإحياء والإماتة أو نحو ذلك .

وبعض أهل العلم فسَّرها بما هو أعمُّ من ذلك وهي الكلمات الشرعية الدينية وكذلك الكونية .

وهذا هو الأرجح ؛ فالكلمات الشرعية الدينية منها القرآن الكريم ، والقرآن الكريم كلام الله جل وعلا ، الكلام وهو صفة من صفاته جل وعلا وهو من كلامه سبحانه وتعالى ، وأيضًا الكلمات الكونية فكُلها كلمات الله جل وعلا فهذا هو الأولى في تفسير الكلمات ، ومن ذلك أخذ أهل العلم ومنهم الإمام أحمد وغيره ممن ردُّوا على الجهمية والمعتزلة أنَّ القرآن كلامُ اللهِ غير مخلوق ؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بكلماتِ اللهِ والقرآن من كلامه ولا يستعيذُ صلى الله عليه وسلم بمخلوق .

قوله:(من شرِّ ما خَلَق) : المخلوقات أنواع منها ما فيه شر محض ، ومنها ما فيه خير محض ، ومنها ما فيه خيرٌ وشر .

- **القسم الأول :** ما فيه شر محض مثل إبليس أو الشيطان شرٌ محض ولكن هو خُلق لحكمة عظيمة ، وإن كان إلا يأتي منه إلى الشر لكن خلق لحكمة عظيمة ، والشرُّ ليس إلي الله وليس في أفعاله سبحانه وتعالى ، وإنَّما الشرُّ نسبي بالنسبة للمخلوقات ، والربُّ جلَّ وعلا جميع أفعاله سبحانه وتعالى خير فهو يفعل لحكمة ، والشرُّ ليس إليه وليس في أفعاله ، ولكنَّ الشر في المخلوقات نسبي .

• **القسم الثاني :** ما فيه خيرٌ محض ليس فيه شر بوجه من الوجوه كالملائكة والجنة والأنبياء و الرسل وغير ذلك ، فالملائكة ليس فيهم شر بوجه ما .

• **القسم الثالث :** ما كان جامعًا بين الخير والشركالإنس والجن .

فالاستعاذة هنا من شر ما خلق فلابد أن نحمل [ما] هنا على [ما] الموصولة ويكون المقصود هنا من شرّ ما خلق مما فيه شر ، فيكون هنا [ما] ليست على عمومها وإنَّما لابد فيها من التقييد بوصف من الأوصاف

(من شرِّ ما خلق) : أي مما فيه شر وليس من كل شيء .

فمن قال هذا الدعاء **(لم يضره شيء)** .

[شيء] هنا نكرة في سياق النفي فتفيد العموم ، أي:لا يضره أي شيء سواء حية أو عقرب ، أو مؤذٍ من الإنس أو الجن أو نحو ذلك .

يذكر أهل العلم عن القرطبي - رحمه الله تعالى - أنه يقول : منذ سمعت هذا الدعاء وأنا أقوله في كل مكان أنزل فيه إلا أنني في مرة من المرات أصبت بلدغة ، فلما راجعت نفسي وجدت أنني لم أقل هذا الدعاء عند نزولي ذلك المكان .

فيه مسائل :

<u>الأولى</u> : تفسير آية الجن .

وقد فسرَّناها ومما يؤخذ من هذه الآية ومن السورة كلها الإيمان بوجود الجنّ وأنَّ الجن عالم غيبي جاءت نصوص كثيرة بإثباته ـ غير مشاهد ـ ومنكر وجود الجن كافر لأنَّه مكذِّب بنص الكتاب والسُنَّة ونزلت سورة كاملة في القرآن سُميت بسورة الجن ، وقد ابتليت الأمة بمن يقول ذلك وهو غارق في الغواية والعماية والعياذ بالله تعالى .

وبعض الناس لا ينكر وجود الجن لكن ينكر وجود المس وهذا جاهل بالشرع والواقع ، و أهل العلم لا يكفِّرُونه لوجود الشبهة عنده ، والدليل من الشرع قوله: **{ كَالَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ }** [البقرة :٢٧٥] وواقع الناس كثير مشاهد في مسألة المس والصرع ، ودخول الجني في الإنسي وما يحصل وما حدث ألفت فيه كتب كثيرة ، فأحيانًا تجد من يتفلسف في الكتابة في الصحف والمجلات يقول : هذا خرافة وهؤلاء مخرفون وأنَّ الجني لا يتلبس بالإنسي ولا يكون هذا أبدًا ! وكما قلت : هذا الإنسان جاهل ومتعالم وينبغي أن يتعلم ، فهذا الشيء موجود والواقع يشهد به ويدل عليه ، بل كثير من الناس يشتكي من هذه القضايا : قضايا الربط والصرف والعطف والمس والسحر والأخذ ونحو ذلك ، وهي كثيرة في مجتمعنا ، ولو جلس إنسان يتكلم فيها شهراً كاملاً في المحاضرات والخطب ما انتهى منها بأصنافها وأشكالها وأنواعها .

فإذاً هذه الآيات تدل على وجوب الإيمان بعالم الجن وأيضًا يُستفاد منها من أنَّه قد يمس الجني الإنسي بشيء من الابتلاء والواجب على الشخص الذي يُبتلى بهذا الابتلاء أن لا يلجأ للسحرة ولا يلجأ للعرافين ؛ لأنَّه قد جاء في الحديث : **أنَّ من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم** ، وفي الحديث الآخر : **« من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا »** (١)

لكن عليه أن يفعل كما أمر الله جلَّ وعلا ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم **{ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨) } [المؤمنون :٩٧-٩٨]** .

وعليه أن يعتصم بالله ويتوكَّل عليه ، ومن توكَّل على الله كفاه ، وأن يكثر من قول : حسبي الله ونعم الوكيل ، فإنَّها الكلمة التي قالها إبراهيم عندما أُلقي في النار ، والكلمة التي قالها محمد صلى الله عليه وسلم عندما أخرجته قريش .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ؛ لأنَّ العلماء يستدلون به على أنَّ كلمات الله غير مخلوقة . قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك . وهذا ذكرناه .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

فهذا دعاء مختصر جدًا ، من قال هذا الدعاء إذا نزل مكاناً : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء ، و ليس هناك تحديد لعدد المرات ، لكن الأصل أنَّه يقال مرة واحدة .

الخامسة : [مسألة مهمة] أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع ، لا يدل على أنه ليس من الشرك .

فقد يذهب الإنسان إلى الساحر أو الكاهن أو العرَّاف أو يسمونه الشيخ ونحو ذلك يقول له : أنا حصل لي كذا وكذا ولا أستطيع أن آتي امرأتي أو نحو ذلك فيصنع له سحرا فيجد نفسه قد تحسن ! هل هذه المنفعة التي استفادها تدل على أن هذا ليس من الشرك ؟!

لا تدل فقد يأتي الإنسان من المنافع الدنيوية أشياء عن طريق الشيء المحرَّم كالذي يسرق مالا ، هذا نقول له : رزق لكن رزق حرام ، ولمن حصل له منفعة عن طريق السحرة فنقول : هذه المنفعة التي حصلت لك جاءت من طريق الشرك ، فليس حصول المنفعة دليلاً على أنه ليس من الشرك .

فالواجب على الإنسان أن يحذر من إتيان الكهنة والسحرة والعرَّافين حتى لا يبطل عمله ولا تذهب صلاته ولا يخرج من الملة .

---

١) رواه أحمد في المسند برقم (١٦٦٣٨) .